

العنوان الأحد الأحد الثاني بعد الدنح

الخوري جان بول (حكمت) شربل

إعتلانُ سرِّ المسيح للرُّسلِ

(يو ١ / ٣٥-٤٢)

٣٥. وَفِي الْغَدِ أَيْضًا كَانَ يُوحَنَّا وَاقِفًا هُوَ وَائْتَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ

٣٦. وَرَأَى يَسُوعَ مَرًّا فَحَدَّقَ إِلَيْهِ وَقَالَ: «هَا هُوَ حَمَلُ اللَّهِ!»

٣٧. وَسَمِعَ التِّلْمِيذَانِ كَلَامَهُ، فَتَبِعَا يَسُوعَ.

٣٨. وَالتَّتَفَتِ يَسُوعُ، فَرَأَهُمَا يَتَّبِعَانِهِ، فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» قَالَ لَهُ: رَابِّي، أَي يَا مُعَلِّمُ، أَيْنَ تُقِيمُ؟»

٣٩. قَالَ لَهُمَا: «تَعَالِيَا وَانظُرَا». فَذَهَبَا وَنَظَرَا أَيْنَ يُقِيمُ، وَأَقَامَا عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَكَانَتِ السَّاعَةُ نَحْوَ الرَّابِعَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ.

٤٠. كَانَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ أَحَدَ التِّلْمِيذِينَ الَّذِينَ سَمِعَا كَلَامَ يُوحَنَّا وَتَبِعَا يَسُوعَ.

٤١. وَلَقِيَ أَوْلَى أَخَاهُ سِمْعَانَ، فَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا مَشِيحًا أَي الْمَسِيحَ».

٤٢. وَجَاءَ بِهِ إِلَى يَسُوعَ، فَحَدَّقَ يَسُوعُ إِلَيْهِ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ سِمْعَانُ بْنُ يُونَا، أَنْتَ سَتُدْعَى كَيْفَا أَي بُطْرُسَ الصَّخْرَةَ».

مقدِّمة

سؤالٌ وجيزٌ دَخَلَ الرُّسُلُ فِي عُمُقِ التَّجَلِّيِ الإِلَهِيِّ: يَا مُعَلِّمُ أَيْنَ تُقِيمُ؟ أَنْ تَعْرِفَ الْمَسِيحَ يَعْنِي أَنْ تَعِيَ أَيْنَ يُقِيمُ. هُنَا هَدَفَ البَحْثُ عَنِ الْمَسِيحِ، أَنْ يُقِيمَ الْإِنْسَانُ مَعَهُ حَيْثُ يُقِيمُ. مِنْذُ الْبَدءِ دَعَا يَسُوعَ الرُّسُلَ لِلإِقَامَةِ مَعَهُ لِيَبْلُغُوا إِلَى الإِقَامَةِ فِيهِ، وَإِقَامَتِهِ فِيهِمْ. لَيْسَ مِنْ إِعْتِلَانِ يَسْمُو عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ. فَقَدْ اعْتَدْنَا أَنْ نُصَوِّرَ الْحَيَاةَ مَعَ اللَّهِ بِصُورَةٍ مَكَانٍ فَتُسَمِّيهِ تَارَةً السَّمَاءِ وَطُورًا الْجَنَّةِ... أَمَّا فِي الْحَقِيقَةِ فَالْحَيَاةُ مَعَهُ لَيْسَتْ إِلَّا الْحَيَاةُ فِيهِ: إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقِيمَ فِيْنَا وَأَنْ نُقِيمَ فِيهِ! فِي هَذَا النَّصِّ، نَرَى يَسُوعَ آتِيًا لِيَعْرِفَ مَا هِيَ رَغْبَةُ الْقَلْبِ الْحَقِيقِيَّةِ: مَاذَا تَطْلُبُ؟ عَنِ مَاذَا تَبَحَّثُ؟ هَذَا هُوَ السُّؤَالُ الْجَوْهَرِيُّ الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ سَمَحَ يَسُوعُ لِلتِّلْمِيذِينَ أَنْ يَأْتِيَا وَيَخْتَبِرَا جَمَالَ اللِّقَاءِ مَعَهُ. مَاذَا تَطْلُبَانِ؟ تَعَالِيَا وَانظُرَا. سَعِيدٌ هُوَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْقَى جَوَابًا فِي عُمُقِ أَعْمَاقِهِ عَنِ هَذَا السُّؤَالِ الْوُجُودِيِّ: مَاذَا تَطْلُبُ؟

٣٥. **وَفِي الْعَدِّ أَيْضًا كَانَ يُوحَنَّا وَاقِفًا هُوَ وَأَثْنَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ**

دَوْرُ يُوحَنَّا يَنْتَهِي فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَشْرَعُ تَلَامِيذُهُ بِاتِّبَاعِ يَسُوعَ وَذَلِكَ بِنَاءٍ عَلَى شَهَادَتِهِ. يُوحَنَّا يُشْعَلُ إِذَا السَّرَارَةَ الرُّوحِيَّةَ الَّتِي سَتُودِّي إِلَى تَكْوِينِ الْجَمَاعَةِ الْأُولَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِشَخْصِ يَسُوعَ؛ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي سَتُشَكِّلُ نَوَاةَ شَعْبِ اللَّهِ الْمُتَفَتِّحِ عَلَى الرَّجَاءِ الْمَسِيحَانِيِّ الْمُتَنْظَرِ وَالَّذِي يُجَسِّدُهُ يَسُوعَ بِشَخْصِهِ.

يَلْعَبُ هَذَا الْمَشْهَدُ، هُنَا، دَوْرَ حَلَقَةِ الْوَصْلِ مَعَ الْمَشْهَدِ السَّابِقِ، فَتَأْتِي عِبَارَةٌ "فِي الْعَدِّ" لَتَشِيرَ إِلَى مُتَابَعَةِ سَرْدِ الْأَحْدَاثِ. فِي هَذَا الْقِسْمِ (يو ١ / ٣٥-٥١)، يُوحَنَّا يَشْهَدُ لْجُمُوعَةٍ ثَالِثَةٍ، أَيْ لِبَعْضِ مَنْ تَلَامِيذِ يُوحَنَّا، عَنِ يَسُوعَ.

٣٦. **وَرَأَى يَسُوعَ مَرَّاً فَحَدِّقَ إِلَيْهِ وَقَالَ: «هَا هُوَ حَمَلُ اللَّهِ!»**

هَذِهِ الْآيَةُ تُظْهِرُ مِنْ جَدِيدِ صُورَةِ الْمَعْمَدَانِ الثَّابِتَةِ وَدَوْرَهُ الْأَسَاسِيَّ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى شَخْصِ يَسُوعَ. كُلُّ شَيْءٍ فِي يُوحَنَّا يَدُلُّ عَلَى يَسُوعَ. إِنَّهَا قِضِيَّةُ حَيَاتِهِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي بَدُونَهَا لَا مَعْنَى لَوْجُودِهِ وَلِرِسَالَتِهِ. لَا نَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَسُوعَ وَلَا إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ، يُرَكِّزُ الْإِنْجِيلِيُّ حُصْرًا فِي إِظْهَارِ نَظَرَةِ الْمَعْمَدَانِ الثَّابِتَةِ لِيَسُوعَ الَّذِي يَمُرُّ وَيَجُولُ الْعَالَمَ يَصْنَعُ الْخَيْرَ. لَقَدْ اعْتَدْنَا فِي الْإِنْجِيلِ عَلَى أَنْ نَرَى يَسُوعَ هُوَ مَنْ يُحَدِّقُ بِالْإِنْسَانِ وَيَقْرَأُ فِي أَعْمَاقِهِ، أَمَّا هُنَا فَالْمُفَارِقَةُ أَنَّ الْمَعْمَدَانَ هُوَ الَّذِي يُحَدِّقُ بِيَسُوعَ. **غَرِيبٌ هَذَا الْإِلَهَ الَّذِي يَسْمَحُ لِحَلِيقَتِهِ بِالنَّظَرِ وَالتَّحْدِيقِ إِلَيْهِ، عَلَّهَا تَسْتَطِيعُ الدُّخُولَ فِي سِرِّ حُبِّهِ لَتَسِيرَ فِي عِلَاقَةٍ حَقِيقِيَّةٍ مَعَهُ، الَّذِي يَرْهَبُ الْكَارُوبُونَ وَالسَّرَافُونَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، خِذُ الْمَعْمَدَانَ الْيَوْمَ يُحَدِّقُ فِيهِ وَيُعَلِّنُ: هَذَا هُوَ حَمَلُ اللَّهِ. هَذِهِ الْمَرَّةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي يُسْمِعُنَا فِيهَا يُوحَنَّا هَذَا الْإِعْتِرَافَ الَّذِي فِيهِ يَخْتَصِرُ شَهَادَتَهُ عَنِ يَسُوعَ.**

٣٧. **وَسَمِعَ التَّلَامِيذَانَ كَلَامَهُ، فَتَبِعَا يَسُوعَ.**

مَعَ أَنَّ الْفِعْلَ "يَتَّبَعُ" ἀκολουθέω "يَعْنِي عَادَةً" "يَتَّبَعُ كِتَلِمِيدًا" بِحَسَبِ كِتَابَاتِ يُوحَنَّا (يو ١ / ٤٣؛ ١٢ / ٨؛ ١٢ / ١٢؛ ٢٦ / ١٢؛ ٢١ / ١٩؛ ٢٠ / ٢٢)، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَحْوِي أَيْضًا مَعْنَى مُحَايِدًا (١١ / ٣١). فَالْكَلِمَةُ "تَبِعَا" هُنَا لَا تَعْنِي بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُمَا أَصْبَحَا تَلْمِيذِينَ دَائِمِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالذَّاتِ، فَالْمَعْنَى الصُّمْنِيَّ قَدْ يَكُونُ أَنَّهُمَا تَبِعَا يَسُوعَ لِيَخْتَبِرَا وَاقِعًا جَدِيدًا عَنِ كَتِّبِ، بِسَبَبِ شَهَادَةِ يُوحَنَّا. وَقَدْ شَكَّلَ هَذَا الْحَدُثُ ظُهُورًا تَمْهِيدِيًّا لَتَلَامِيذِ يُوحَنَّا أَمَامَ يَسُوعَ (مثلاً أندراوس ١ / ٤٠). وَلَكِنْ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ، كَرَسُّوا حَيَاتَهُمْ كِتَلَامِيذِ وَرُسُلِ حَقِيقِيَّينَ، حِينَ دَعَاهُمْ يَسُوعَ لِلْخِدْمَةِ الدَّائِمَةِ بَعْدَ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ. وَعِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ فِي السَّرْدِ يَخْتَفِي يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ، وَيَنْصَبُ كُلَّ الْإِهْتِمَامِ عَلَى يَسُوعَ.

٣٨. **والتفت يسوع، فرأهما يتبعانه، فقال لهما: «ماذا تطلبان؟»** قال له: **رأبي، أي يا معلم، أين تُقيم؟»**

أول جملة قالها يسوع في إنجيل يوحنا هي عبارة عن سؤال: ماذا تطلبان؟ في بداية الأحداث التي يرويها يوحنا في أول فصل من إنجيله وبالتحديد في اليوم الثالث (أي اليوم الثالث على أحداث القسم الذي نحن في صدده شرحه)، يطرح يسوع سؤاله الجوهري: ماذا تطلبان؟ وفي يوم ثالث آخر في نهاية إنجيله (إنجيل القيامة)، يطرح يسوع السؤال عينه على مريم المجدلية: **«يا امرأة...من تطلبين؟»** (يو ١٥ / ٢٠). في هذا الفعل "بحث، طلب" (ζητέω) (ورد في إنجيل يوحنا ٣٤ مرة) يسوع يعطي تعريفاً عن مَنْ هُوَ الإنسان في جوهريه: نحن كائنات نبحث، نسأل، نرغب ونتوق للوصول الى المعنى، معنى كل شيء.

يسوع المعلم نراه في الأناجيل يستعمل طرقاً مختلفة لإيصال كلام الملكوت الى مستمعيه، وهو غالباً لم يكن يدخل في مناقشات وجدالات عقيمة لإيصال أفكاره، فنجدّه يلجأ الى الأمثال كطريقة يكلم بها قلوب أحبائه: هذا كله كالم به يسوع الجموع بأمثال، وبدون مثل لم يكن يكلمهم (مت ١٣ / ٣٤). ولكن الى جانب الأمثال، ينقل إلينا الأنجيليون طريقة أخرى استعملها يسوع في التعليم وهي طريقة طرح الأسئلة. في دراسة بسيطة للأناجيل الأربعة، نجد ٣٧ مثلاً (مكررة في ٤٩ موضع)، في حين يطرح يسوع أكثر من ٢٢٠ سؤالاً موجهاً للتلاميذ، للمرضى، للأصدقاء، للخصوم، لليهود ولغير اليهود. فالسؤال هو طريقة في التواصل غير عنيفة، لا تسكت الآخر، ولكن تفتح مجالاً للحوار الصادق، حتّى الآخر وتستثيره وفي الوقت نفسه تتركه حرّاً.

في هذا السؤال: **«ماذا تطلبان؟»** يسوع يفهم التلاميذ ويفهمنا نحن اليوم أنه ينقصدنا شيء. البحث يولد من نقص، من فراغ يتطلب أن تملأه. التلميذان اللذان تبعوا يسوع، لم يكتفيا بأن يكونا تلميذي أعظم الأنبياء، يوحنا المعمدان. لو إكتفيا بما قدمه لهما يوحنا لما تبعوا يسوع. ماذا تطلب؟ يعني ما هي رغبتك الدفينة؟ ما هو منشودك الأعلى في هذه الحياة. يسوع لم يطلب من التلميذين في بادئ الأمر تضحيات وأعمال خارقة، أول ما طلبه يسوع هو الولوج الى عمق القلب، علّ هذين التلميذين يكتشفان ما هي رغبة قلوبهما الصادقة، عن ماذا يفتشان وماذا يريدان.

والملفت أيضاً في هذه الآية أنّ التلميذين أجابا بسؤال: أين تُقيم؟. هذه بداية رحلة التفتيش الصحيح، رحلة البحث عن المكان الذي قد يجد فيه كل شيء، كل المعنى. ومن المرجح أنّ هذين التلميذين لم يدركا في بادئ الأمر أنّ مكان إقامتهما الحقيقي لن يكون مكاناً جغرافياً، بل سيكون قلب إنسان-إله وهو الشخص نفسه الذي يكلمهما.

٣٩. قَالَ لَهُمَا: «تَعَالِيَا وَأَنْظُرَا». فَذَهَبَا وَنَظَرَا أَيْنَ يُقِيمُ. وَأَقَامَا عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَكَانَتْ السَّاعَةُ نَحْوَ الرَّابِعَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ.

يَسُوعُ دَعَا التَّلْمِيذِينَ بِبَسَاطَةٍ لِيَأْتِيَا مَعَهُ وَيَنْظُرَا. هَذَا اللَّقَاءُ مَعَ يَسُوعَ أَتَى بَعْدَ ظُهْرِ أَحَدِ الْأَيَّامِ وَدَامَ كُلَّ اللَّيْلِ. إِنَّ هَذَا السَّرِدَ الْمُقْتَضِبَ وَغَيْرَ الْمَرْحَرَفِ، يُنْبِطُ أَيَّ مُحَاوَلَةٍ لِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْقِصَّةِ أَوْ الْإِجْتِهَادِ فِيهَا لِمَعْرِفَةِ تَفَاصِيلَ أَكْثَر. لِذَلِكَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَسْأَلَ الْقَارِئُ: لِمَاذَا ذَكَرَ التَّوْقِيفَ؟ لِمَاذَا يَحْرُصُ الْإِنْجِيلِيُّ عَلَى تَرْجَمَةِ كَلِمَةِ رَبِّي فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَلَا يُعْطِي أَيَّ تَفْصِيلٍ عَنِ مَكَانِ إِقَامَةِ يَسُوعَ أَوْ عَنِ فَحْوَى الْحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ يَسُوعَ وَالتَّلْمِيذِينَ الْأَوَّلِينَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ؟

إِنَّ مَا يَهُمُّ الْكَاتِبُ هُوَ اللَّقَاءُ بِحَدِّ ذَاتِهِ بَيْنَ يَسُوعَ وَالتَّلْمِيذِينَ، وَكُلُّ الْبَاقِي بِالنَّسْبَةِ لَهُ هُوَ تَأْنَوِيٌّ وَهَامِشِيٌّ. كُلُّ مَنْطِقِ الْقِصَّةِ وَالْوَصْفِ يَهْدِفُ هُنَا لِلْوُصُولِ إِلَى النُّقْطَةِ الْجَوْهَرِيَّةِ، إِلَى اللَّقَاءِ بَيْنَ تَلْمِيذِي النَّبِيِّ - الشَّاهِدِ وَبَيْنَ يَسُوعَ الْمُعَلِّمِ - مَشِيحًا. **التَّلْمِيذَانِ سَمِعَا، تَبَعَا، أَتَيَا، رَأَيَا، أَقَامَا عِنْدَهُ، وَفِي النِّهَايَةِ قَبْلًا دَعَا يَسُوعَ وَهُنَا يَنْتَهِي بَحْثُهُمَا.** كُلُّ الْقِصَّةِ إِذَا تَسِيرُ فِي حَظٍّ وَاضِحٍ (العلاقة مع أو اللقاء ب) عَلَى إِيقَاعِ مُنْتَظِمٍ مُوزَّعٍ عَلَى سَبْعَةِ أَفْعَالٍ تُشَكِّلُ النَّسِيحَ الْأَدْبِيَّ لِلنَّصِّ: سَمِعَ، تَبِعَ، إِتَفَتَ، طَلَبَ (أَوْ بَحَثَ)، أَتَى، رَأَى، أَقَامَ. فِي عَالَمِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، هَذَا يُقَوِّدُنَا إِلَى التَّفْكِيرِ بِالْإِنْسَانِ الْبَاحِثِ عَنِ الْحِكْمَةِ وَمَكْنُونَاتِهَا: "وَالَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي" (أُم ١٨ / ١٧ ب)؛ "فَطُوبَى لِلَّذِينَ يَحْفَظُونَ طُرُقِي" (أُم ١٨ / ٣٢ ب). اللَّقَاءُ بِيَسُوعَ إِذَا وَالْإِصْغَاءُ إِلَيْهِ يُعْطِي قِيَمَةً لِبَحْثِ الْإِنْسَانِ وَتَوْقِهُ إِلَى إِجَادِ الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ هُوَ الْمَعْنَى بِحَدِّ ذَاتِهِ. لِذَلِكَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يُقِيمَ هَذَانِ التَّلْمِيذَانِ عِنْدَهُ، أَنْ يُقِيمَا (يَثْبُتَا) فِي كَلِمَتِهِ، يَسْتَقْبِلَانَهَا وَيَدْعَانَهَا تُقِيمَ (تَثْبُتَ) فِيهِمَا (يُو ٤ / ٤٠؛ ١٨ / ٣١؛ ١٥ / ٤ - ٧).

وَكَانَتْ السَّاعَةُ نَحْوَ الرَّابِعَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ: فِي الْعَادَةِ، الْإِنْجِيلِيُّ يُوحِنَا يَذَكِّرُ سَاعَةَ اللَّقَاءِ الْمَصِيرِيَّةِ كَاللِّقَاءِ بِالرَّأَةِ السَّامِرِيَّةِ: "وَكَانَتْ هُنَاكَ بُرٌّ يَعْمُوبَ. فَإِذَا كَانَ يَسُوعُ قَدْ نَعَبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هَكَذَا عَلَى الْبُرِّ، وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ" (يُو ٤ / ٦). وَسَاعَةَ الْأَحْدَاثِ الْخَلَاصِيَّةِ كَشِفَاءِ ابْنِ عَامِلِ الْمَلِكِ: "فَاسْتَحْبَرَهُمْ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا أَخَذَ يَتَعَافَى، فَقَالُوا لَهُ: «أَمْسِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ تَرَكَتُهُ الْحَمَى»" (يُو ٤ / ٥٢). وَسَاعَةَ الْحُكْمِ عَلَى يَسُوعَ: "وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْفِصْحِ، وَنَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «هُوَذَا مَلِكُكُمْ!»" (يُو ١٩ / ١٤). وَيَبْدُو أَنَّ لِقَاءَ يَسُوعَ (الكثير من الشَّرَاحِ يَتَفَقَّهُونَ أَنَّ يُوْحِنَا كَاتِبَ الْإِنْجِيلِ هُوَ التَّلْمِيذُ الثَّانِي الَّذِي لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُهُ) كَانَ بِهَذَا التَّأثيرِ الْمُغَيِّرِ لِحَيَاتِهِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ تَذَكَّرَ السَّاعَةَ بِالتَّحْدِيدِ حِينَ إِتَقَى الرَّبَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

٤٠. كَانَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بَطْرُسَ أَحَدَ التِّلْمِيذِينَ اللَّذِينَ سَمِعَا كَلَامَ يُوحَنَّا وَتَبِعَا يَسُوعَ.

من هذا اللقاء بين يسوع والتلاميذ، تَطَوَّرَت سِلْسِلَةٌ مِنَ اللَّقَاءَاتِ سَتُوْدِي إِلَى تَشْكِيلِ نَوَاةِ الْجَمَاعَةِ الْأُولَى. الْآنَ وَفِي هَذِهِ النُّقْطَةِ فَقَطْ، يَكْشِفُ لَنَا الْكَاتِبُ عَن هُوِيَّةِ أَحَدِ التِّلْمِيذِينَ اللَّذِينَ أَنْتَقَلَوْا مِنْ دَائِرَةِ يُوحَنَّا الْمَعْدَانَ إِلَى اتِّبَاعِ يَسُوعَ. إِنَّهُ أَنْدَرَاوُسُ، الَّذِي يُعْرَفُهُ الْكَاتِبُ نِسْبَةً لِأَخِيهِ، هَذَا مَا يَجْعَلُ مِنْ بَطْرُسَ الشَّخْصِيَّةَ الْأَبْرَزَ. التِّلْمِيذُ الْآخَرُ الَّذِي لَا يَقُومُ بِدَوْرٍ مُحَدَّدٍ، يَبْقَى مَجْهُولًا كَبَاقِي التِّلْمِيذِ فِي إِجْلِيلِ يُوحَنَّا.

٤١. وَلَقِيَ أَوْلَى أَخَاهُ سِمْعَانَ، فَقَالَ لَهُ: " وَجَدْنَا مَشِيحًا أَي الْمَسِيحِ ".

يَلْعَبُ أَنْدَرَاوُسُ هُنَا الدَّوْرَ عَيْنَهُ الَّذِي لَعِبَهُ الْمَعْدَانُ بِالشَّهَادَةِ لِيَسُوعَ. بَعْدَ إِخْتِبَارِ اللَّقَاءِ بِالْمَسِيحِ، أَصْبَحَ أَنْدَرَاوُسُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَهَذِهِ حَالُ كُلِّ الشَّخْصِيَّاتِ الْبَيْلِيَّةِ الَّتِي اخْتَبَرَتْ اللَّقَاءَ الْحَيَّ بِالْإِلَهِ الْحَيِّ.

تَعْبِيرُ "مَشِيحًا" هُوَ تَرْجُمَةٌ حَرْفِيَّةٌ مِنَ الْعِبْرِيَّةِ أَوْ الْأَرَامِيَّةِ لِنَعْتِ يَعْنِي "الْمَسُوحُ"، وَهُوَ يَشْتَقُّ مِنْ فِعْلِ يَعْنِي "أَنْ يُمَسَّحَ" أَحَدُهُمْ كَعَمَلٍ يَتَضَمَّنُ تَكْرِيسَ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ لَوْظِيفَةٍ أَوْ عَمَلِيَّةٍ خَاصَّةٍ. فِي حِينِ كَانَ هَذَا التَّعْبِيرُ كِبَادِيٌّ ذِي بَدِءٍ، يُطْلَقُ عَلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ "مَسِيحِ الرَّبِّ" (١ صم ١٦ / ١٦)، وَعَلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ "الْكَاهِنِ الْمَسُوحِ" (٣ / ٤٤)، وَفِي فِقْرَةٍ وَحِيدَةٍ أُطْلِقَ عَلَى الْآبَاءِ "مُسَحَّائِي" (مز ١٠٥ / ١٥)، فَقَدْ بَاتَ هَذَا التَّعْبِيرُ يُشِيرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْمُنْبَأِ بِهِ "الْآتِي" أَوْ "الْمَسِيحِي" فِي وَظِيفَتِهِ كَنَبِيٍّ وَكَاهِنٍ وَمَلِكٍ. فَالتَّعْبِيرُ "الْمَسِيحِ" Μεσσίας "كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ تُشِيرُ إِلَى نَعْتِ أَصْلِهِ فِعْلٌ، مُشْتَقَّةٌ مِنْ فِعْلِ يَعْنِي "يَمَسَّحُ" وَمُسْتَعْمَلٌ كَتَرْجُمَةٍ لِلتَّعْبِيرِ الْعِبْرِيِّ، بِحَيْثُ أَنَّ "الْمَسِيحِي" أَوْ "الْمَسِيحِ" هُمَا لَقَبَانِ وَلَيْسَا إِسْمَيْنِ شَخْصِيَّيْنِ لِيَسُوعَ.

٤٢. وَجَاءَ بِهِ إِلَى يَسُوعَ، فَحَدِّقَ يَسُوعَ إِلَيْهِ وَقَالَ: "أَنْتَ هُوَ سِمْعَانُ بَنُ يُونَا، أَنْتَ سَتُدْعَى كَيْفَا أَي بَطْرُسَ الصَّخْرَةَ".

نَحْنُ أَمَامَ الْإِلَهِ الَّذِي يُحَدِّقُ بِالْإِنْسَانِ، الْإِلَهِ الَّذِي يَعْرِفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ أَكْثَرِمَا يَعْرِفُهُ الْإِنْسَانُ عَن نَفْسِهِ. نَظْرَةُ يَسُوعَ لِبَطْرُسَ هِيَ نَظْرَةٌ مَن يَعْرِفُ بَطْرُسَ مَعْرِفَةً عَمِيقَةً لَدَرَجَةِ أَنَّ هَذِهِ النُّظْرَةَ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تُعْطِيَ هُوِيَّةً وَرِسَالَةً جَدِيدَةً لِلْمَدْعُوِّ.

فِي إِجْلِيلِ يُوحَنَّا فَقَطْ، جُذِيَ الْإِسْمُ الْأَرَامِيُّ "كَيْفَا"، كَمَا وَجَدُ تَسْمِيَّةً "سِمْعَانَ بَطْرُسَ" ١٧ مرَّةً مِنْ أَصْلِ ٣٤ مرَّةً لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَخْصِ بَطْرُسَ. دَوْرُ بَطْرُسَ فِي جَمَاعَةِ الْإِثْنِي عَشَرَ وَفِي الْجَمَاعَةِ الْأُولَى كَكُلِّ، مُرْتَبِطٌ بِمُبَادَرَةِ يَسُوعَ - الْمَسِيحِ الَّذِي يَكْشِفُ لَهُ مَهْمَّتَهُ، الْمُرْمُوزِ إِلَيْهَا بِالصَّخْرَةِ (يوا ١٥ / ١٩). بَطْرُسَ فِي لِقَائِهِ الْأَوَّلِ بِيَسُوعَ لَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ شَيْئًا. يَسُوعُ هُوَ

الذِّي حَدَّقَ إِلَيْهِ بِنَظَرَاتِهِ النَّبَوِيَّةِ، فَفَتَحَ لَهُ مُسْتَقْبَلًا جَدِيدًا فِي التَّدْبِيرِ الْخَلَاصِيِّ الْمَسِيحَانِيِّ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ دَائِرَةِ الْعَائِلَةِ الصَّغِيرَةِ (بن يونا). الى هذا الوقت، كان بُطْرُسُ لَا يَزَالُ يُعْرَفُ بِاسْمِ "سَمْعَانَ بْنَ يُونَا" (الاسْمُ "يُونَا" هُوَ آرَامِيٌّ وَيَعْنِي "يُوحَنَّا" مت ١٦ / ١٧). وَالتَّعْبِيرُ "كَيْفَا" Κηφᾶς يَعْنِي "صَخْرَةً" بِالْآرَامِيَّةِ، وَالذِّي يُتْرَجَمُ "بُطْرُسُ" Πέτρος "بِالْيُونَانِيَّةِ. وَإِنَّ تَعْيِينَ يَسُوعَ لِاسْمِ "كَيْفَا" أَوْ "بُطْرُسُ" لِسَمْعَانَ، حَصَلَ فِي مُسْتَهْلِ خِدْمَةِ هَذَا الْأَخِيرِ. فَهَذِهِ الْعِبَارَةُ لَيْسَتْ فَقَطْ إِنْبَاءً بِمَا سَيُدْعَى بِهِ بُطْرُسُ، بَلْ أَيْضًا إِعْلَانًا عَنِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي فِيهَا سَيُغَيَّرُ يَسُوعُ شَخْصِيَّةَ بُطْرُسُ وَيَسْتَخْدِمُهُ فِيهَا يَخْصُ تَأْسِيسَ الْكَنِيسَةِ (يو ١٨ / ٢١، ١٩؛ مت ١٦ / ١٦-١٨؛ أع ١٤ / ٢-٤ / ٣٢).

خلاصة روحية

لَمْ يُدْرِكِ التَّلَامِيذُ الَّذِينَ تَبِعُوا الْمُعَلِّمَ الْإِلَهِيَّ، بَعْدَ شَهَادَةِ يَوْحَنَّا الْمَعْمَدَانَ، أَنَّهُمْ سَيَبْلُغُونَ إِلَى الْإِبْنِ. وَلَمْ يَعُوا طَوَالَ مُكُونَتِهِمْ مَعَ الْمُعَلِّمِ أَنَّهُ سَيُحَدِّثُهُمْ عَلاَنِيَّةً عَنِ الْآبِ. لَقَدْ ظَلُّوا غُرَبَاءَ لَا يَفْهَمُونَ إِلَى حِينِ فَاضَ فِيهِمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَوَهَبَهُمْ كُلَّ مَا لِلإِبْنِ، لِنَسْكُنَ مَشِيئَةَ الْآبِ فِيهِمْ. وَالَّذِينَ سَأَلُوا فِي الْبَدَايَةِ الْمُعَلِّمَ أَيْنَ يُقِيمُ لِيُقِيمُوا مَعَهُ، أَدْرَكُوا فِي النِّهَايَةِ، أَنَّهُ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يُقِيمَ فِيهِمْ مَعَ الْآبِ وَيَجْعَلَ لَهُ عِنْدَهُمْ مَقَامًا، عِنْدَمَا يُحِبُّونَهُ وَيَحْفَظُونَ مَشِيئَتَهُ. هَذَا هُوَ مَعْنَى الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ، أَنْ نَثْبُتَ فِيهِ وَهُوَ فِيْنَا.